أكاديمية الإمام الذهبي

للعلوم الشرعية

# شرح

# مائة المعاني والبيان

## لزين الدين أبي الوليد محمد بن محمد الحلبي الحنفي المعروف بـ ابن الشحنة

## (ت:٨١٥هـ)

المحاضرة الأولى

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحَمْدُ لله البديع الهادي، إلى بيان مهيع الرشاد، أمدَّ أرباب النهى ورسما، شمس البيان في صدور العُلَما، فأبصروا معجزة القرآن، واضحة بساطع البرهان.

ثم صلاة الله ما ترنَّما، حادٍ يسوق العيس في أرض الحمى، على نبينا الحبيب الهادي، أجلِّ كلِّ ناطقٍ بالضاد، محمدٍ سيدِ خلقِ اللهِ، العربيّ الطاهرِ الأوّاهِ، ثم على صاحبه الصدّيقِ، حبيبِه وعمرَ الفاروقِ، ثم أبي عمرو إمام العابدينْ، وسطوةِ الله إمامِ الزاهدينْ، ثم على بقية الصحابةْ، ذوي التقى والفضل والإنابةْ، والمجدِ والفُرصةِ والبراعةْ، والحزمِ والنجدةِ والشجاعةْ، ما عكف القلب على القرآنِ، مرتقياً لحضرة العرفانِ.

أما بعد: فهذه هي المحاضرة الأولى من محاضرات شرح منظومة مائة البيان والمعاني، لابن الشحنة الحنفي رحمه الله، التابعة للفصل الدراسي الثاني، من السنة الدراسية الثالثة، في أكاديمية الإمام الذهبي رحمه الله.

هذا وستضم هذه المحاضرة أربعة مباحث:

الأول: تعريف بالمصنف.

الثاني: المبادئ العشرة لعلم البلاغة.

الثالث: أقسام علم البلاغة.

الرابع: مقدمة المؤلف.

فأقول وبالله التوفيق ومنه العون والتسديد:

## أولا: التعريف بالمصنف:

هو القاضي زين الدين أبو الوليد محمد بن محمد بن محمود الحلبي الحنفي المعروف بابن الشحنة.

ولد سنة ٧٤٩هـ، واشتغل بالفقه والأدب، وكان محبا للسنة وأهلها، تولى قضاء الحنفية في حلب، ثم في دمشق، قدم القاهرة مرتين، ثم رجع إلى دمشق صحبة الملك الناصر ودرس فيها، ثم استقر في قضاء حلب، له عدة مؤلفات من أشهرها عشر منظومات في العقيدة، والفقه، وأصول الفقه، والفرائض، والطب، والنحو، والبلاغة، والتصوف، والسيرة، والمنطق، كل منظومة منها مائة بيت، وقد توفي رحمه الله سنة ٨١٥هـ.

## ثانيا: المبادئ العشرة:

قال العلامة محمد الأمين الأثيوبي رحمه الله:" واعلم: أنه ينبغي لكل شارع في فن من الفنون أن يتصوره ويعرفه قبل الشروع فيه؛ ليكون على بصيرة فيه، وإلا صار كمن ركب متن عمياء وخبط خبط ناقة عشواء، ويحصل التصور بمعرفة المبادئ العشرة" (١)

وقد جمعها منظومةً العلامة محمد بن علي الصبان المصري (ت:١٢٠٦ هـ) في حاشيته علي شرح الملوي على السلم في المنطق في قوله:

إِنَّ مَبَادِيْ كُلِّ فَنٍّ عَشَرَهْ ... الحَدُّ وَالموضُوعُ ثُمَّ الثَّمَرَهْ

وَفَضْلُهُ وَنِسْبَةٌ وَالْوَاضِعْ ... وَالِاسْمُ الِاسْتِمْدَادُ حُكْمُ الشَّارِعْ

مَسَائِلٌ وَالْبَعْضُ بِالْبَعْضِ اكْتَفَى ... وَمَنْ دَرَى الجَمِيعَ حَازَ الشَّرَفَا.

**********

١- **حد علم البلاغة:** لعلم البلاغة تعريفان:

**تعريف لغوي:** هو الوصول إلى الشيء، قال ابن فارس رحمه الله:" الْبَاءُ وَاللَّامُ وَالْغَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ وَهُوَ الْوُصُولُ إِلَى الشَّيْءِ، تَقُولُ بَلَغْتُ الْمَكَانَ، إِذَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ، وَقَدْ تُسَمَّى الْمُشَارَفَةُ بُلُوغًا بِحَقِّ الْمُقَارَبَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ}" اهـ

---

(١) الفلك المشحون من نفائس الجوهر المكنون (٤٩/١)

**تعريف: اصطلاحي:** يختلف تعريف البلاغة بحسب الموصوف، والذي يوصف بالبلاغة، إما الكلام، فيقال كلام بليغ، وإما المتكلم، فيقال: متكلم بليغ.

بلاغة الكلام: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

بلاغة المتكلم: هي ملكة يقتدر بها تأليف كلام بليغ.

٢- **موضوع علم البلاغة:** الكلام العربي من حيث مطابقته لمقتضى الحال، وإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، ووجوه تحسين الكلام.

٣- **ثمرة تعلم علم البلاغة:** لعلم البلاغة ثمرات كثيرة منها:

- فهم كتاب الله، والوقوف على أسرار إعجازه، وقوة بيانه.

قال ابن خلدون: " واعلم أنّ ثمرة هذا الفنّ: إنّما هي في فهم الإعجاز من القرآن؛ لأنّ إعجازه في وفاء الدّلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكمال مع الكلام فيما يختصّ بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها، وهذا هو الإعجاز الّذي تقصر الأفهام عن إدراكه. وإنّما يدرك بعض الشّيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللّسان العربيّ وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه؛ فلهذا كانت مدارك العرب الّذين سمعوه من مبلّغه أعلى مقامًا في ذلك؛ لأنّهم فرسان الكلام وجهابذته، والذّوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحّه" (٢)

- فهم السنة النبوية المشرفة، والوقوف على دررها وجمالها.

فمن سمع النص النبوي أو قرأه أو شرحه وليس له تعلق بعلوم البلاغة، فإنه كراكب قارب على سطح البحر لا يصل إلى دره وجواهره وسر جماله، بخلاف البليغ الذي هو أشبه بالغائص الذي يظفر باللآلئ والجواهر.

قال حافظ إبراهيم عن العربية (ت: ١٣٥١هـ):

**أنا البحر في أحشائه الدر كامن  فهل سألوا الغواص عن صدفاتي**

- التلذذ بالنص العربي البليغ، فإن له في النفس السليمة أثرا ليس لغيره من النصوص.

يقول شيخ البلاغة العربية عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ): "فإذا قلتَ: "هو كثيرُ رمادِ القدْر"،

---

(٢) تاريخ ابن خلدون (١/ ٧٦٢).

كان له موقِعٌ وحظٌّ من القَبول لا يكون إذا قلتَ: "هو كثيرُ القِرى والضِّيافة".

وكذا إذا قلتَ: "هو طويلُ النِّجاد"، كان له تأثيرٌ في النفس لا يكون إذا قلتَ: "هو طويلُ القامة".

وكذا إذا قلتَ: "رأيتُ أسداً"، كان له مزيةٌ لا تكونُ إذا قلتَ: "رأيتُ رجلاً يُشبهُ الأسدَ ويُساويه في الشجاعة".

وكذلك إذا قلتَ: "أَراكَ تُقَدِّمُ رِجْلاً وتؤخِّرُ أخرى"، كان له موقعٌ لا يكون إذا قلت: "أراك تتردَّدُ في الذي دعوتُكَ إليه، كمَنْ يقولُ: أَخرجُ ولا أخرجُ، فيُقدِّم رِجْلاً ويؤُخِّر أُخرى".

وكذلك إذا قلتَ: "أَلقى حبْلَه على غاربه"، كان له مأخَذٌ من القَلْب لا يكونُ إذا قلتَ: "هو كالبعيرِ الذي يُلْقَى حَبْلُه على غاربه حتى يَرْعى كيْفَ يشاءُ ويذهَبَ حيثُ يُريد".

ولا يَجْهَلُ المزيةَ فيه إلاَّ عديمُ الحِسِّ ميِّتُ النَّفْس، وإلاَّ مَنْ لا يكلّم؛ لأنه من مبادئ المعرفةِ التي مَن عَدِمَها لم يَكنْ للكلام معه معنى"(٣).

## ٤- فضل علم البلاغة:

قال أبو هلال العسكري: " اعلم- علّمك الله الخير، ودلّك عليه، وقيّضه لك، وجعلك من أهله- أنّ أحقّ العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفّظ- بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه- علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذى به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحقّ، الهادي إلى سبيل الرّشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحّة النبوة، التي رفعت أعلام الحقّ، وأقامت منار الدّين، وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حجب الشكّ بيقينها" (٤)

وقال الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ): " فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القريّة أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه؛ لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في

---

(٣) دلائل الإعجاز (١/ ٤٣٠).

(٤) الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: ١).

علمين مختصين بالقرآن وهما: علم المعاني، وعلم البيان" (٥).

٥- **نسبة علم البلاغة:** هو من علوم اللغة العربية الاثني عشر.

٦- **واضع علم البلاغة:** هو العالم النحرير شيخ البلاغيين أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجُرْجَانِيّ (٤٠٠ - ٤٧١هـ)، في كتابيه "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة" (٦)

قال يحيى بن حمزة:" وأول من أسس من هذا العلم قواعده، وأوضح براهينه، وأظهر فوائده، ورتب أفانينه، الشيخ العالم النحرير، علم المحققين: عبد القاهر الجرجاني"(٧).

وقال الصعيدي (ت: ١٣٩١هـ): " الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي ذهب بالشهرة في هذه العلوم، حتى عدّوه بحق شيخ البلاغة؛ لأنه هو الذي وضع أساسها الصحيح بكتابيه: "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"" (٨)

٧- **اسم علم البلاغة:** يسمى بعلم البلاغة، أو بعلم البيان، وممن سماه بعلم البلاغة أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، والزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، والخطيب القزويني (ت:٧٣٩هـ)، ويحيى بن حمزة (٧٤٥هـ)، وصلاح الدين الصفدي (٧٦٤هـ)، وبهاء الدين السبكي (ت:٧٧٣هـ)، وغيرهم.

وممن سماه بعلم البيان، عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، والزمخشري (ت:٥٣٨هـ).

٨- **استمداد علم البلاغة:** من كلام الله ورسوله وكلام العرب الفصحاء.

٩- **حكم تعلم علم البلاغة:** فرض كفاية على جميع المسلمين، وفرض عين لمن أراد أن يفسر كلام الله عز وجل، قال السيوطي- وهو يعدد شروط المفسر وآدابه-: "الخامس والسادس والسابع:

---

(٥) تفسير الزمخشري (المقدمة/ ٢).

(٦) ذكر العلامة محمد الأمين الأثيوبي لكل علم من علوم البلاغة واضعا له، فذكر أن عبد القاهر هو واضع علم المعاني، وأن أرباب المعاني أو عبد القاهر الجرجاني أو أبو عبيد معمر بن المثنى واضعوا علم البيان، وأن عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي (٢٩٦هـ) هو واضع علم المعاني. ينظر: الفلك المشحون من نفائس الجوهر المكنون (٥٢/١)

(٧) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (١/ ٦).

(٨) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (١/ ٣).

المعاني والبيان والبديع؛ لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام، من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام.

وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر؛ لأنه **لا بد له** من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم" (٩)

١٠- **مسائل علم البلاغة:** التشبيه، والمجاز، والكناية، والخبر، والإنشاء، وأحوال المسند والمسند إليه، والمحسنات اللفظية والمعنوية....الخ

(٩) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٢١٤).

## ثالثا: أقسام علوم البلاغة:

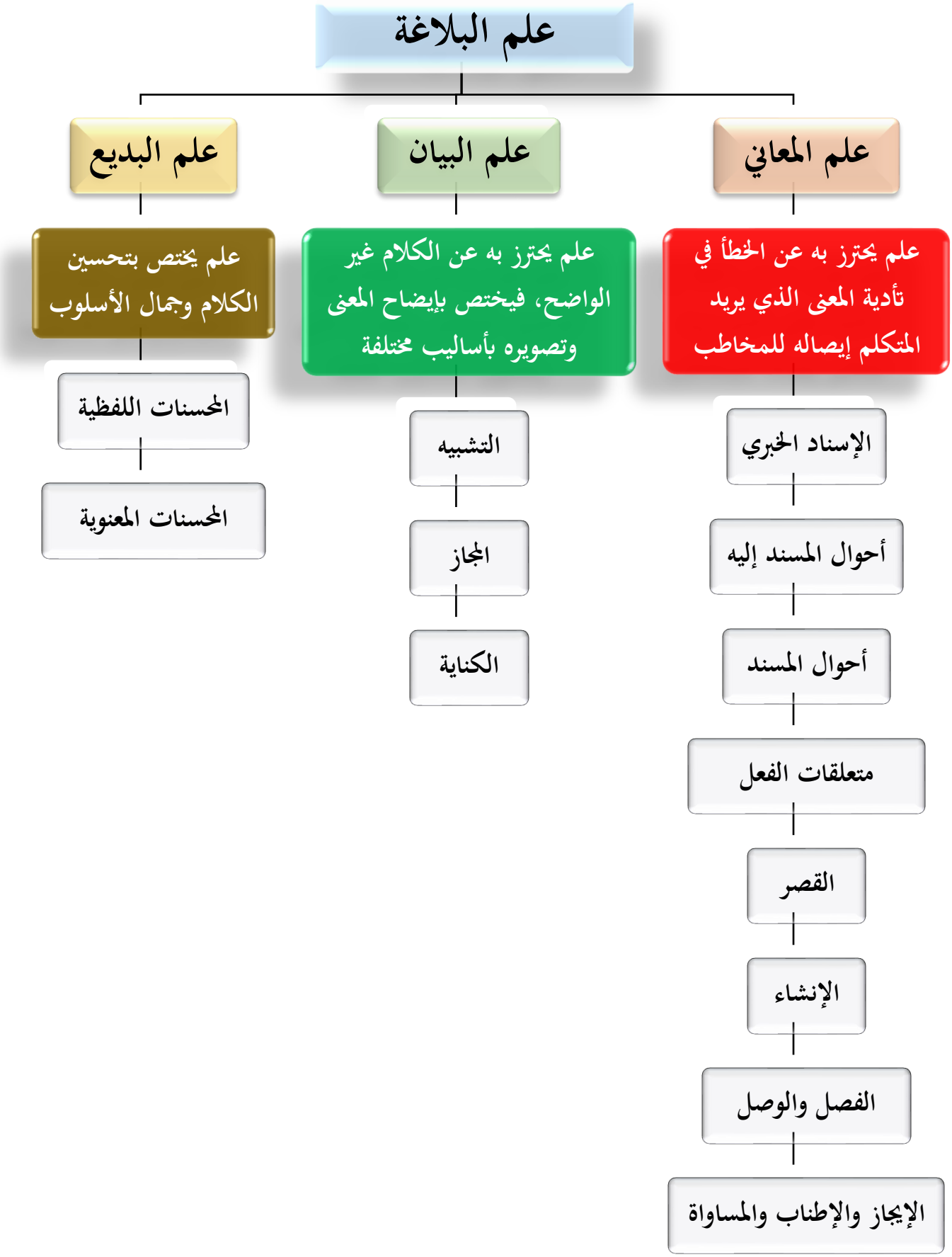

كان القدماء من علماء البلاغة يطلقون على جميع هذه الأقسام، إما علم البيان، أو علم المعاني والبيان، حتى جاء الإمام سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السَّكَّاكي الخوارزمي الحنفي (ت:٦٢٦هـ) فكان أولَ من أطلق على الموضوعات المتعلقة بالنظم مصطلح «علم المعاني»، وعلى الموضوعات التي تبحث في الصورة والخيال والتشبيه والمجاز والكناية مصطلح «علم البيان»، وعلى غير هذه البحوث «وجوه مخصوصة يصار إليها لقصد تحسين الكلام»، وقسّمها إلى ما يختص بالمعنى وما يتعلق باللفظ، ولم يسمّها بديعًا، ثم جاء بدر الدين محمد ابن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الدمشقي (ت:٦٨٦هـ)، صاحب «المصباح في اختصار المفتاح في المعاني والبيان» فأطلق على هذه البحوث «علم البديع»، وتابعه جلال الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر، القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، (ت:٧٣٩هـ)، والمتأخرون" (١٠).

**وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم**

(١٠) أساليب بلاغية، أحمد مطلوب (ص: ٧٧).